علاقة الصلاة والروحانيات بالثالوث الأقدس

الأب حبيب هرمز – لندن

نوفمبر 2012

مقدمة

في ظل استمرار نزيف الهجرة، يتعرض المؤمنون الى ضغوط كبيرة بسبب الثقافات الجديدة التي اغلبها علمانية، والكثير منها ملحدة عملياً على الأقل. فبدلاً من التأمل في الحقيقة من خلال العلاقة مع الثالوث الأقدس، تعلم العلمانية ان الحقيقة مجردة عن الإيمان بالله ويمكن الوصول اليها بمعزل عن الإيمان. وهكذا صارت الحقيقة صنم يعلم الناس عبادة الجسد دون الروح. لذلك سأحاول في هذا المقال تسليط الضوء على موضوع مهم واساسي في حياتنا، الا وهو موضوع الصلاة والروحانيات من جهة علاقتهما بعقيدة الثالوث الأقدس.

يعتبر الثالوث الأقدس السر المركزي لإيماننا وحياتنا، ومصدر باقي الأسرار. إن الهدف من الصلاة والروحانيات هو تجديد حياة المؤمن. الصلاة والروحانيات هما اساسيان في حياتنا، فنحن نعترف، ونشكر، ونطلب، ونتضرع. نصلي بصوت عال او منخفض، بصمت او بهدوء، شخصيا او مع الجماعة، او نتأمل في امور روحية عديدة. ولكن كيف نتعمق في حقيقة الإنسان الجديد المخلص بيسوع المسيح من خلال العلاقة مع الثالوث الأقدس. ساحلل واقيم ذلك معتمداً على التعليم الكنسي ومصادر اخرى.

تجلي الثالوث ألأقدس

في ختام انجيل متى يؤكد يسوع تجلي الثالوث عندما يطلب التعميد بإسم الآب والإبن والروح القدس (متى 28: 19). هنا يكمن ملئ سر الثالوث. إنه يمثل تعبير واضح لقدرة السر في العطاء الإلهي كي يشارك المؤمن الحياة مع الله الثالوث، هذا لأنه يمنح النعمة المقدسة لكل مؤمن. ومن خلال النعمة (اي حضور الله الثالوث) يستطيع المؤمن المشاركة في الحياة مع الله الثالوث.[1] هو الروح القدس المعطي للشركة مع الأب والإبن. فالمسيح احب كنيسته وقدسها، واتحد معها بفضل الروح القدس من خلال المحبة، البذرة التي تعطي ثماراً من خلال الأسرار.[2]

نعمة الله والحياة الروحية

لقد عبر العديد من الأنبياء في العهد القديم عن تجلي نعمة الله. فالنبي ارميا اكد على العهد الجديد بين الله وشعبه (أر 31:31) والنبي حزقيال اكد على ان المؤمنين سينالون قلبا جديداً وروحاً جديدة (حز 36: 26-27). وهذه النعمة تجعل قابلها يشع بالمجد كما حصل مع موسى وهو ينزل من الجبل (خر 34: 29).

---

[1] *Dominum et Vivificantem, 9.*

[2] *Lumen Gentium, 39 &42.*

نحن نقتبل نعمة الروح القدس كي نعمق معرفتنا بطبيعته الرحومة. لذلك اكدت الكنيسة عبر القرون – بالضد من الهرطقات – على اهمية الإعتماد على دور نعمة الثالوث في حياة المؤمن خصوصاً عبر السر الفصحي للمسيح. ويتم هذا من خلال التوبة ونيل الشفاء وعيش الفضائل.

يرسل الله الثالوث بإستمرار نعمته من خلال اسرار الكنيسة وصلواتها بدءاً من العماذ. إنه يأتي ليلتقي بالإنسان. إنه لا يأتي اقنوما اقنوما كما يقول القديس يوحنا الصليبي، بل الثالوث كله يسكن فينا لينقذنا من طبيعتنا القديمة والفاسدة. فسر الثالوث يقودنا الى سر الخلاص عندما يفتح المؤمن قلبه ليستجيب الدعوة الإلهية ويتحول الى هيكل مقدس[3].

حسب الروحاني الأب أومان، عقيدة سكن الثالوث هي حجر الزاوية في تركيبة اللاهوت الروحاني. إنها شركة النعمة مع الثالوث وبداية المجد فينا كما يؤكد ايضاً القديس توما الإكويني وبدونها ستقف النفس عارية امام الله. لذلك من المهم جدا للمسيحي الوعي بحضور الثالوث في حياته كي يحمي نفسه وتزدهر رسالته.

استجابة المؤمن

سيبكت الروح القدس العالم على الخطيئة (يو 16: 8). لذلك المؤمن لن يدرك كم الخطيئة شريرة إن لم يبحث عن الله في قلبه. هناك سيجد الله يواجه الخطيئة. وهذا عمل الثالوث من خلال التدبير الإلهي بواسطة يسوع المسيح الذي ينقذنا من الضياع في المنفى بسبب الخطيئة ويعيدنا الى الآب[4]. وبواسطته نقول لله (أبّا) وحقيقة لا نقولها بقوتنا بل نتيجة عمل الروح فينا الذي ينطق بأنات لا توصف (روم 8).

المسيح هو طريقنا الى الثالوث، والروحانية والصلاة هي المشاركة في هذا السر، سر كون الطريق يمر من خلال، وبواسطة، وفي المسيح. تتطلب هذه الحقيقة خبرة في قلب المؤمن. انه يحاول من خلال الروحانية الإقتراب، اولا عبر الإشتراك في حياة الثالوث بواسطة العماذ والتثبيت والإفخارستية. ففي العماذ، الثالوث هو حقيقة الإيمان التي يجلبها الله مباشرة للمعمذ. والإفخارستيا هي علامة بذل ذات الآب[5].

ان الحياة الروحية والصلاة مهمة جدا كي يتخذ المؤمن موقفاً ايجابيا، لأنه مخلوق كي يستجيب في حياته للحب الإلهي لا كما فعل شعب الله في البرية حيث جربوا الله 40 سنة. (مز 95). وقد اكد مار بولس ان المسيح هو سر الله لخلاصنا. وهذا السر لا يمكن سبر غوره دون معرفته. فقال لست انا احيا بل المسيح يحيا في (غلا 2 : 20) ويؤكد في رسالته الى رومية على دور الحياة الروحية كإستجابة لعمل الله فيقول ان الله ارسل ابنه في جسد يشبه جسدنا كي نسلك حسب الروح (روم 8: 3- 4).

إن الإستجابة هي ثمرة الشركة مع سر الثالوث الأقدس. فعندما يدرك المؤمن ان الأشخاص الإلهية الثلاثة تأتي لتسكن في قلبه، تمتلئ حياته بالمحبة. وحيث يمتلئ بالحب ويحيا بحضور الأشخاص الثلاثة،

---

[3] *Dominum et Vivificantem, 11.*

[4]كتاب التعليم المسيحي الكاثوليكي فقرة 2795.

[5]كتاب التعليم المسيحي الكاثوليكي فقرة 2845.

يصبح سراً. لذلك شدة حياة الصلاة تتناسب مع شدة الحب. وعند هذا المستوى الرفيع من الصلاة تدخل النفس في عرش سكن الثالوث[6]

النمو في الحياة الروحية

طبقا لمار بطرس، فالقدرة الإلهية منحتنا كل ما يؤول الى الحياة والتقوى. ذلك بأنها جعلتنا نعرف الذي دعانا بمجده وقوته. كي نصير شركاء الطبيعة الإلهية (2 بط 1: 304). ومار بولس ايضاً يؤكد على انه بواسطة المعرفة الروحية يشارك الشخص في الطبيعة الإلهية من خلال تجديد الفكر (روم 12). في العهد الجديد ثلاثة امثلة على فترة النمو في الحياة الروحية: مار بولس التقى بالمسيح وتحول كليا نحوه وهو في طريقه الى دمشق خلال لحظة، ولص اليمين احتاج الى ساعات ليتحول ويخلص، اما مار بطرس فاحتاج الى ثلاث سنوات!

إن معرفة الله هي موضوع مهم للنمو في الحياة الروحية وتذوق الحياة الأبدية كما اعلن الرب في صلاته (يو 17). هذه المعرفة هي اشبه بالنور الذي يشرق في قلب المؤمن حيث سينظر بوجه جلي مجد الرب (2 قور 3: 18، 4: 6). هذه الرسالة هي من اروع النصوص البولسية عن الخبرة الروحية خصوصا 2 قور 2: 14-17 و 3: 1- 10. وهناك خبرة معلنة اخرى في رسالته الى فيلبي 3: 20 – 21. وكذلك يوحنا في رسالته الأولى الفصل الثالث يشير الى انه في النهاية سنكون اشبه بالرب كما شاهده التلاميذ الثلاثة فوق جبل التجلي (متى 17: 2).

لأجل السماح للثالوث كي يسكن في قلب المؤمن، فإن اغلب الروحانيين يشترطون في رحلة الحياة ان 1- يطهر المؤمن قلبه من الخطايا كي 2- يستنير ثم 3- يتحد بالثالوث. هذا مع العلم ان المراحل متداخلة، اي مثلا يحتاج الى التطهير من الخطايا طول العمر . ولكن استجابة المؤمن تعتمد على طبيعة حياة المؤمن، وكم يصلي، وكيف تؤثر عليه حالته النفسية والإجتماعية. ومع ذلك فهو سيتقدم في حياته رغم اجتيازه فترات مظلمة لأنه كلما ازداد معرفته بطبيعة عمل الثالوث، يزداد وعياً بقلة معرفته التي شبهها القديس يوحنا الصليبي بالليل الحالك.

الثالوث وطرق الصلاة

عندما يسكن الثالوث في قلوبنا يقوم المسيح بواسطة الروح القدس بمصالحتنا مع الآب واخذنا اليه. لذلك صلاتنا يجب ان تكون بإسم يسوع لأنه الطريق الى الآب، والصلاة تصبح عهداً معه[7].

يستطيع المؤمن ان يمارس اكثر من طريقة للصلاة: صلوات ليتورجية طقسية مشرقية او حسب ترتيب القديسين والقديسات من الرهبان والراهبات المشرقيون او الغربيون الذين اسسوا مدارس روحية عبر التاريخ. ولكن تبقى آيات الكتاب المقدس المصدر الأساس ويفضل ان يرافقها الإيقونات او اللوحات الدينية المعبرة.

---

[6] *Aumann, O. P. Jordan, (*1962 *) Spiritual Theology.* pp 22, 246.

[7] **كتاب التعليم المسيحي الكاثوليكي فقرة 2565، 2655، 2713، و2789.**

من المهم هنا ان نذكر دور امنا مريم في تقوية حياتنا الروحية خصوصا ممارسة صلاة الوردية المقدسة ذات البعد التاملي والتي تعتبر اختصاراً للإنجيل. إن الحياة الروحية لمريم العذراء وعيشها مع ابنها نموذج لنا للإقتداء.

الصلاة والعمل

نعمة الله تجعلنا ابناؤه المتبنين كي ننمو في الفضائل. علينا ان نشعر بعمق اننا هيكل الثالوث. هذا يحتاج الى عيش الفضائل، واهمها الإلهية كالإيمان والرجاء والمحبة. الرجاء يمنحنا الصبر للثبات في كرمة المسيح، والمحبة لتثبيت صداقتنا له. هذا اضافة الى دور الحكمة، الفهم، المعرفة، المشورة، الشجاعة وغيرها.

إن عيش الإيمان والقيم الأدبية اهم من مجرد الصلاة دون اعمال او من مناظرات لاهوتية عقيمة. لذلك لا وجود لروحانية دون ان تزدهر علاقة ابناء الكنيسة بعضهم مع بعض. ويجدر بالذكر هنا دور روحانيات معاصرة مثل حركة السفينة لجان فانييه، وحركة الفوكولاري والآباء السالزيان وغيرهم.

تشويه الروحانيات والصلاة

في الختام يجدر الإشارة الى العديد من الهرطقات عبر التاريخ أثرت سلبيا على دور الروحانيات. منها فلسفة الكوايتزم Quietism(تصوف لا مبالي سلبي تجاه التقدم الروحي)، والجانسينية Jansenism(تدعي انه دون نعمة خاصة فالتقدم الروحي مستحيل)، وتدخل علم النفس (يؤكد على الحالة النفسية وسلوك الشخص)، وغيرها. لقد ظهرت في القرن السابع عشر بعد الثورة الصناعية.

ولكن ما ظهر في القرن التاسع عشر وبعده امر آخر خطير حيث تنتشر البدع الى يومنا هذا بسبب العولمة والحضارة المادية حيث يتم ادخال طرق بوذية والسحر والتنجيم والأساطير الى حد انه في احدى الدول المتقدمة الكاثوليكية وصل عدد مكاتب التنجيم الى اكثر من عدد الإكليروس. ان سبب ذلك ايضا هو الفراغ الروحي الذي يجتاح العالم في وقت بلغ عدد المهاجرين اكثر من 214 مليون حسب احصائية للفاتيكان. وفي الفن تم استغلال ذلك بإغراق وسائل الإعلام بالأفلام الخيالية الخاصة بإستحضار الأرواح والأشباح والكائنات الفضائية وغيرها.

الختام

لقد رأينا كيف ان للصلاة والروحانيات دور اساسي في حياتنا كي نفهم عمل الثالوث فينا. الثالوث الذي هو السر المركزي لإيماننا وحياتنا. المقال اكد على تمجيد الثالوث في حياتنا والذي يبدأ بالمعمودية كي نشترك في حياة الله. إن كل الروحانيات تعتمد على حضور الروح القدس في قلوبنا.

يحاول الثالوث عبر التاريخ الخلاصي تحويل قلب الإنسان القاسي الى رحوم. لذلك على الشخص الإستجابة من خلال قبول الشركة معه من خلال الصلاة والحياة الروحية وتقديم الثمار للعالم عبر الفضائل والأعمال الجيدة. والفضائل هي ثمار الحياة الروحية والتي هي حياة النعمة بالمسيح.